

شرح حديث أَسْمَاءَ بْنِ زَيْدَ - رضي الله عنهمَا - : "مَا ترَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ"
الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:
فالحديث الأخير في باب حق الزوج على المرأة هو حديث أسماء بن زيد - رضي الله تعالى عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء))^(١)، متفق عليه. وذلك - والله تعالى أعلم - لأن المرأة هي محل نظر الرجل، وقد جبله الله - عز وجل - وركبه تركيباً قد انطوى على غريزة تميل إلى المرأة، شاء أم أبي، فهذا أمر مركوز في فطر الرجال، فالمرأة هي محل متعة الرجل، وإذا نظر إليها فإن دواعي النفس تتحرك، ولذلك أمره الشارع بغض البصر، وأخبر أن له الأولى وهي نظرة الفجاءة وعليه الثانية^(٢)، والنفوس تتشفى وتتطلع إلى شهواتها، والله - عز وجل - قد جعل النساء شهوات، كما في قوله في آية آل عمران: {زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهْوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقْنَطَرَةِ مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَلْعَامِ وَالْحَرَثِ} [آل عمران: ١٤] فسمها شهوات؛ لأن النفس تشتهيها، وتطمح إليها، وتنتعلق بها، وقد جعل النساء في أول هذه الشهوات - والله تعالى أعلم - لأنها أعظم هذه الشهوات، فالرجل قد يجمع المال من أجل أن يتزوج المرأة، وبعضهم لربما يجمع المال من أجل أن ي الواقع من الشهوات المتصلة بالنساء، وهكذا الرجل قد يحصل ما يحصل من المراكب الجميلة، وما أشبه ذلك لربما يكون مریداً بهذا - كما يفعله بعضهم - أن يوقع بالنساء، ولربما استأجر الرجل هذه المراكب وهو لا يملك شيئاً من أجل أن يتسبّب بما لم يعط، لعله أن يوقع في شباكه امرأة غرّة تخدع به، وهكذا الولد إنما يكون من المرأة، {زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهْوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقْنَطَرَةِ مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ}، من أين يأتي الأولاد؟ يأتون من النساء، ولا يكون ذلك إلا بالمعاشة، فالنساء أعظم فتنة، ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ((إن الدنيا حلوة خضراء، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنةبني إسرائيل كانت في النساء))^(٣).

^١ - أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة، (٨/٧)، برقم: (٥٠٩٦)، ومسلم، كتاب الرفاق، باب أكثر أهل الجنة القراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، (٤/٢٠٩٧)، برقم: (٢٧٤٠)

^٢ - أخرجه أبوداود، كتاب النكاح، باب ما يؤمر به من غض البصر (٣/٤٨١)، برقم: (٢١٤٩)، والترمذى، أبواب الأدب عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، باب ما جاء في نظرة الفجاءة (٥/١٠١)، برقم: (٢٧٧٧)، وصححه الألبانى، فى صحيح أبي داود (٦/٣٦٤)، برقم: (١٨٦٥)، عن ابن بريدة عن أبيه، بلفظ: ((فإن لك الأولى، وليس لك الآخرة)).

^٣ - أخرجه مسلم، كتاب الرفاق، باب أكثر أهل الجنة القراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، (٤/٢٠٩٨)، برقم: (٢٧٤٢).

فالانحراف الذي وقع لبني إسرائيل كان بسبب النساء في ابتداء الأمر، ويروى في هذا من الأخبار الإسرائيلية ما قد تعرفون، ولكن مثل هذه الأشياء لا يحتاج بها، وما حصل مما يذكره بعض المفسرين في قصة بلعام الذي قالوا: إنه المراد بقوله تعالى: **{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي أَتَيْنَا آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعَنَا بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْدَى إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرْكُهُ يَلْهَثُ}** الآية [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

قالوا: هذا الرجل كان من علماء بنى إسرائيل، ويعرف الاسم الأعظم، فلما جاء موسى -صلى الله عليه وسلم- غازياً قال له قومه: ردهم علينا بالدعاء عليهم، فأبى، ثم بعد ذلك دلهم على أمر وهو أن يدسوا في صفوهم النساء، فلما وقعت الفاحشة في بنى إسرائيل وقع فيهم الطاعون، فالشاهد أن انفلات المرأة، وسفور المرأة، واختلاط المرأة بالرجال، ومزاحمتها لهم في العمل والسوق، وما إلى ذلك يجعلها فتنة عظيمة، وأي فتنة؟ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر أن المرأة إذا أقبلت أقبلت في صورة شيطان، وإذا أدبرت كذلك^(٤)، ولو كانت في غاية التحجب، وهذا شيء مشاهد، الرجال الذين يمشون انظر إليهم وأنت تسير في سيارتك، انظر في المرأة، بينما توجد سودادة فقط في جانب الطريق تجد أن عامة من يمر يلتفت، انظر إلى موقع الإنترنت التي تذكر الأرقام التي دخلت على هذا الموضوع، إذا كان شيء فيه صورة لامرأة، قيل: يوجد صورة امرأة كذا وكذا، أو كتب بين قوسين "فيه صورة"، انظر عدد الذين دخلوا، هذا شيء مشاهد، لماذا؟ لأن هذه أشياء تتجذب إليها النفوس، والإحصاءات التي تخرج بين حين وآخر، سواءً في بلاد المسلمين أو في غير بلاد المسلمين عن الدخول إلى الواقع الإباحية في شبكة الإنترنت، كم عدد الذين يدخلون من الرجال؟ أرقام عالية جداً، لو صدقت هذه الإحصاءات وكانت دقيقة فهي تزيد على الثمانين بالمائة، وأظن أن العدد أكثر من هذا، ولذلك فإن الإنسان كما نسمع، ويشتكي أناس كثيرون يرى صورة واحدة فقط، ثم بعد ذلك يعالج نفسه لربما سنوات بالصوم والدعاء والذكر وقراءة القرآن، وقيام الليل ولا يستطيع أن يستخرجها من قلبه، وقد سمعت هذا من عدد من الناس، صورة واحدة فقط، صورة واحدة تكفي أن تدمر كل معنى من معاني التربية الذي تلقاه الإنسان في صغره، صورة فاتنة من هذه الصور التي يتداولها لربما طلاب المرحلة الابتدائية في جوالاتهم كفيلة بأن تلغي ما تربى عليه هذا الولد، فالامر خطير، وما عادت القضية تتصل بمراهقة أو نزوة عند بعض الشباب في مكتمل العمر، لا، الشكوى أيضاً من أناس جاؤوا الأربعين، تشتكى منهم نسائهم صباح مساء، كيف يصنعن؟ كيف يتصرفن؟ إلى هذا اليوم وأنا أسمع من مشاكل هؤلاء أشياء تشيب لها المفارق، زوجها فيه صلاح وفيه دين وفيه خير، ثم تكتشف أن الرجل يدخل على موقع سيئة، وآخر يكتشف أن أخته تدخل على موقع إباحية، وهكذا، فتنة عظيمة جداً، ولذلك فإن الأعداء عرفوا الطريق

^(٤) - أخرجه الترمذى، أبواب الرضاع عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في الرجل يرى المرأة تعجبه (٤٥٦/٣)، برقم: (١١٥٨)، وأبن حبان في صحيحه، كتاب الحظر والإباحة، باب ذكر الأمر لمن رأى امرأة أعجبته أن يأتي أمرأته حينئذ (٣٨٤/١٢)، برقم: (٥٥٧٢)، وصححه الألبانى، في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٣٩٢/١)، برقم: (٨٤٥) بلفظ: ((إن المرأة إذا أقبلت أقبلت في صورة شيطان)).

إلى إفساد المجتمعات الإسلامية، ولهذا قال قائلهم: كأس وغانية تفعل في المسلمين أكثر من ألف مدفع، وهذا صحيح، البوسنة كانت بلاداً في الغالب لا يعرفون عن الإسلام إلا اسمه، نعرفهم قبل الحرب، لا يعرفون من الإسلام إلا الاسم، ومنتهى التبذل والتبرّج والاختلاط والسفور، فلما وقعت الحرب خرّجت هذه الحرب نماذج ما رأيناها قبل ذلك، صارت تأتي جموع للجامعة الإسلامية من الطلاب عكس أولئك تماماً، فالطلاب الذين كانوا يأتون مدخنين، وزوجاتهم متبرّجات يجلسون مع بعض -مع أزواجهم- ويقولون: هذا مذهب الحنابلة، يعني: غطاء الوجه ومنع التدخين، يأتي للجامعة طلب في مقتبل العمر، صغار، قد تربوا تربية ممتازة وتدين، وحرص ولزوم للسنة والاتباع، من أين جاءوا؟ من ألف مدفع، لكن الكأس والغانية تفتّ، وتفسد الطيب والرديء، إلا من لطف الله -عز وجل- به، حتى الإنسان الذي فيه خير ودين وصلاح إذا استرسل مع هذه القضايا وأطلق المجال لعينه فالمعروف نهاية هذا الطريق، من عرض نفسه للفتنة أو لا لم ينج منها آخرها، وهكذا بالمخالطة، وهكذا بالمحادثة، الذي يبسط النساء، ويأخذ ويعطي معها سواء كانت زميلة في العمل، أو كانت هذه المرأة قد تعرف عليها بطريقة أو بأخرى، أو احتاجت إليه في أمر من الأمور أن يعالجها، أن يساعدها، ما الذي يحصل بعد هذا؟ إذا أطلق المجال لنفسه وغفل فإنه قد يوصله هذا إلى أمر مكرر، ففتنة النساء فتنة ما بعدها فتنة، وليس ذلك مختصاً بالمرأة الأجنبية، بل حتى الزوجة.

ولذلك الإنسان الذي يتزوج لا يخلو من ثلاثة أحوال، منهم من تتردى حاله بعد الزواج، يكون في سكرة، جاءته امرأة سبتْ عقله، خاصة إذا كانت جميلة وقليلة الخوف من الله -عز وجل-، تسبيبه لا يرد لها طلباً، ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب لِلُّبِّ الرجل الحازم من إحداكن))^(٥)، كيف إذا كانت جميلة؟، يلغى عقله تماماً، سكران، ولذلك أيضاً أقول: فهو لاء طائفة، الطائفة الثانية: من يبقى على حاله السابقة بعد الزواج، وقليل من يتزوج ثم بعد ذلك يرتقي بعد هذا الزواج، إذا كانت امرأة تخاف من الله -عز وجل-، وتقية وصالحة، وإن فخذني إلى المطعم نتعشى فيه، وهي نذهب إلى الفندق، ونغير الجو، وكل يوم وهي تجرجه في سوق، وفي حديقة، وفي استراحة، لا شغل له إلا بتزييهما، فهذه فتنة، ولهذا قال -عز وجل-: {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًا لَّكُمْ فَاحذِرُوهُمْ} [التغابن: ٤]، عدواً، وهذه العداوة كما قال ابن القيم -رحمه الله- ليست ناشئة من البغض والكراهية، إنما هي عداوة منشؤها المحبة والشفقة، فإذا جاء يصلي لربما منعه، وقالت له: اجلس نستأنس بك، اجلس عندي، إذا خرجت أنا أستوحش، إذا أراد أن يطلب العلم قالت: أين تذهب؟، أنا أبقي وحيدة بين أربع جدران، أنا أتضائق، وأمل، إذا أراد أن يعتمر ثيطة، أو أراد أن يحج ثيطة، وهكذا تقعده عن كل عمل صالح، فالنتيجة النهاية أنها تفعل به ما يفعله عدوه المبغض، يعني: لو أن له عدواً مبغضاً يريد أن يحرمه من طلب العلم، يفرح إذا لم يطلب العلم، لا يوجد شيء تغيّط به عدوك مثل طلب العلم، فهو الذخر الحقيقي الذي يبقى، أما بهارج الدنيا والمساكن فتجارة تربح اليوم وتخسر غداً في الأسمهم، أو يجيئك واحد صاحب مشاريع اسمها توظيف أموال، ويأخذها، وكلما جمعت لك ريالين جاءك من يأخذها، العلم يبقى، كلما تعطي منه يزداد، فما يُفهر العدو بأكثر

^(٥) - أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، (١٤٦٢)، برقم: (١٢٠/٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، وبين إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله، كفر النعمة والحقوق، (٨٦/١)، برقم: (٧٩).

من العلم، وهذا ذكره أهل العلم، وهو معروف، وهو من مزايا العلم على المال، فعلى كل حال هذه العداوة الجالب لها الشفقة، عدوك المبغض يريد أن يقعدك عن هذه الأمور كلها، لا يريد لك خيراً، ولا يفرح إذا حججت ولا يفرح إذا اعترضت، ولا يفرح إذا طلت العلم، ولا يفرح إذا تقربت إلى الله -عز وجل-، فهو يريد أن يمنعك منه، أن يصرفك، هذه من باب الشفقة والمحبة، هذا الولد أو هذه الزوجة، فالنتيجة النهائية ما هي؟ أن يكون الإنسان قليل التحصيل من العلم النافع والعمل الصالح، استرضاء لمن؟ للزوجة والولد، ما قال: كل أزواحكم؛ لأن من النساء من هي التي تصلح الزوج، وهي التي تحثه على طاعة الله -عز وجل-، وهي التي تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وهو يأبى أحياناً، ومنهم من يستجيب، فليس كل النساء، وليس كل الأولاد، بينما في الفتنة، قال: **{إِنَّمَا أُمُوَالُكُمْ وَأُولَادُكُمْ فِتْنَةٌ}**، هم فتن، ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لما أخذ الحسن أو الحسين لما كان يقوم ويقع والنبي -صلى الله عليه وسلم- على المنبر قال: **((صدق الله: إِنَّمَا أُمُوَالُكُمْ وَأُولَادُكُمْ فِتْنَةٌ))** [التغابن: ١٥] ... ^(٦) ما احتمل النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يراه وهو على المنبر، يرى ولده يقوم ويقع، فأقول: مثل هذه الأمور يحتاج الإنسان أنه يعرفها، ويعرف طبيعة النفس، ولذلك لا يفتح على نفسه باباً في الشر، إذا كنت ابتهلت بعمل من الأعمال تكلم به امرأة إن كنت تعرف من نفسك ضعفاً فابتعد، وإن كان ولابد فالاضطرار بقدر الحاجة فقط، من غير استرسال، ولا تسمح لها أن تدخل في قضايا أخرى، تضحك أو تمزح أو تسأل عن الحال وعن العيال، لا، لا شأن لها بهذا، وهذه فتن، الرجال إذا سمعوا المرأة تتكلم بغير تصريحهم في مقتل، شاء الرجل أم أبي، الرجل إذا جلس أمام المرأة تبدأ كما قال ابن حزم بعض الحركات في جسمه، كتفه ورأسه وكذا، وعينه، غير إرادية، بخلاف ما إذا جلس أمام الرجل، هذا الشيء معروف، يسوق السيارة وراكبة وراءه امرأة أجنبية مع زوجته، حركات غير إرادية بيديه، هذه فطرة، هذه ما ينزع فيها إلا إنسان مكابر، والذي يقول: لا، أنا ما أتأثر، هذا إما أنه رجل يكذب، وإما أنه رجل عنيّن، ليس له أرب في النساء، من غير أولى الإربة، فتحن ما نتحدث عن هذا، هذا يجوز له أن يدخل على النساء ويجلس معهن، ويأكل معهن، فهو كإداهن، نحن نتحدث عن الرجال، والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **((ما تركت فتنة هي أضر على الرجال))**، ما قال: على هؤلاء، فالذي يقول: لا، ولابد من إيلاء الثقة، ولابد من المرأة حتى يكون الوضع انسانياً، وتكون مع الرجال، وتدرس معهم، وما هو المانع؟، ولماذا ندرسها عبر شاشة؟، نقول له: المرأة محل الفتنة، وهو حينما ينظر إليها، إلى وجهها مثلاً يعرف تفاصيل دقيقة في داخل جسمها هي لا تعرفها، من أشياء معينة في الوجه، ولهذا أبيح للرجل أن ينظر إلى الوجه والكفين؛ لأنه يعرف الأشياء التي ما تعرفها المرأة من نفسها مما يطلبها الرجال منها، بل لو مسها مسّاً، ولهذا منع الشارع من مصافحة المرأة، بالمس يعرف بعض الأشياء التي لا تعرفها هي من نفسها، باللمس، هي ما تعرفها من نفسها مما يطلبها الرجال، فأين هؤلاء الذين يقولون: لا، يحصل إلّا إذا اخترط الرجال النساء،

^٦- أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب الإمام يقطع الخطبة للأمر يحدث (٢٩٠/١)، برقم: (١١٠٩)، وابن ماجه، كتاب اللباس، باب لبس الأحمر للرجال (١١٩٠/٢)، برقم: (٣٦٠٠)، وصححه الألباني، في صحيح أبي داود (٤/٢٧٢)، برقم: (١٠١٦).

يجعلها تبيع في صيدلية، أو في السوق، أو محل مستلزمات نسائية أو غيره، هذا محل فتنة للرجال، والله المستعان.

فأسأل الله -عز وجل- أن يلطف بنا، وأن يصلاح أحوال المسلمين، وأن يرزقنا وإياكم العفاف، ويعيننا وإياكم من مضلات الفتنة، ما ظهر منها وما بطن، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.